المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العدد 15A تشرين2 2024
No.15A Nov 2024

الإفصاحُ النفسي في نهجِ البلاغةِ

م.د. صادق علي خليل الزبيدي
جامعة ديالى – كلية التربية المقداد
sa_7814@yahoo.com – 07809999299

ملخص البحث :

تناول البحث كلام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في كتاب نهج البلاغة وهو المختار من كلامه عليه السلام لمؤلفه الشريف الرضي (406هـ) وتناول البحث المفردات والتراكيب التي تفصح عن موقف الإمام النفسي ، وتعبر عن وجدانه بوضوح من غير تأويل، ولا احتمالات بعيدة ، فهو يركز عن الكلام الذي يبوح عن خلجات نفسية ، نابعة من النظام اللغوي الذي حدَّد شكل الكلام ، وعيَّن مساراته ، فالبوح النفسي ، والتصريح العاطفي طريقة كلامية لها جذور لغوية تنبئ عن شخصية منشئ الكلام .

الكلمات المفتاحية : الافصاح النفسي ، البوح ، نهج البلاغة ، الإمام علي ، تحليل الشخصية

Psychological Disclosure in Nahjul Balagha

Prof. Dr. Sadiq Ali Khalil Al-Zubaidi
University of Diyala - College of Education Al-Muqaddad

Abstract

The research dealt with the words of the Commander of the Faithful Ali bin Abi Talib, peace be upon him, in the book Nahj al-Balagha, which is a selection of his words, peace be upon him, by its author Al-Sharif Al-Radi () and searched for the vocabulary and structures that reveal the Imam's psychological position, and express his feelings clearly without interpretation, or far-fetched possibilities, as it focuses on the speech that reveals psychological feelings, stemming from the linguistic system that determined the form of speech, and specified its paths, as psychological disclosure, and emotional declaration is a method of speech that has linguistic roots that indicate the personality of the author of the speech.

Keywords: (Psychological disclosure, disclosure, Nahj al-Balagha, Imam Ali, character analysis)

المقدّمة :

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، وأشرفُ الصلاةِ وأتمُّ التَّسليمِ على سيِّدِ الأنامِ وحبيبِ إلهِ العالمينَ أبي القاسمِ محمدٍ المصطفى وعلى آلهِ الطيبينَ الطاهرينَ . وبعدُ :

يُمَثِّلُ الخطابُ العلويُ في نَهجِ البلاغةِ تَجسيداً للتعبيرِ اللغوي المتقنِ ، ومصداقاً للنَّصِ الكلامي المتكاملِ ؛ فهوَ غنيٌّ بأفانينِ الأساليبِ ، ومتشعبٌ بضروبِ التراكيبِ

، ينبضُ بالمعاني العاليةِ المضامين ، ويشعُّ بالدلالاتِ التي تُنبئُ عن شخصيةٍ لا يُمكنُ أنْ تُوصفَ إلا بأنَّها ملكوتيةٌ ربانيةٌ .

وَقَد استعملَ أميرُ المؤمنينَ (عليه السلامُ) في خطابهِ استراتيجيةً كلاميةً انتشرتْ في فضاءاتِ النصوصِ العلويةِ، تمثَّلتْ في إفصاحِ الإمامِ عليه السلام عن مشاعرِه وأحاسيسِهِ ، والتصريحِ بمواقفِهِ النَّفسيةِ الوجدانيةِ بدقةٍ وموضوعيةٍ ، في مواقفَ حرجةٍ ، وقضايا حساسةٍ على مستوى الفردِ والأمةِ، قد يتجنَّبُها مَنْ لَهُ شأنٌ دينيٌ أو اجتماعيٌ أو سياسيٌ وغيرُ ذلك ، بوصفِها تُعلنُ عن موقفِ صاحبِها النفسي بوضوحٍ ، وتُشيرُ إلى رأيِهِ جلياً ، لذا يعد الإفصاح النفسي ظاهرة لغوية ومحطة كلامية ، المائز فيها بوحٌ نفسي وتصريح بالمشاعر ، لذا تناول البحث هذه المسار المعرفي المهم المرتبط بإدراك ما تريده النفس وما عليه المجتمع .

وجاء البحث على تمهيد ومبحثين ؛ تناولَ التمهيدُ التعريفَ بمفهومِ الإفصاحِ النفسي ، وجاء المبحث الأول بعنوان : (الإفصاحُ النَّفسيُ في أفعال المشاعر) ، ووُسِمَ المبحثُ الثاني بعنوانِ : ((الإفصاحُ النَّفسي في صيغِ الرضا والإبعاد) ، وقد خَلُصَ البحثُ إلى جملةِ نتائجَ ، ذُكِرتْ في خاتمةِ البحثِ .

وقد اخترتُ هذا الموضوعَ مجالاً للدراسة لضرورةِ البحثِ في الخطابِ العلوي في مستوياتِهِ اللغويةِ المختلفةِ ، وخصوصاً في ضوءِ اللسانياتِ النفسيةِ ، للتعريفِ بهذهِ الظاهرةِ اللغويةِ في خطابِ أميرِ المؤمنينَ عليٍ عليه السلام ، وللكشفِ عن أوجهِ الإفصاحِ النَّفسي ، وعن آلياتِهِ اللغويةِ ، ودلالاتِهِ الكلاميةِ للتعرفِ على شخصيةِ أميرِ المؤمنينَ عليهِ السلامُ ، وعلى أثرِ هذا الإفصاحِ الذي اكتنزتْهُ اللغةُ، في تربيةِ الفردِ المسلمِ وبناءِ الجماعةِ الصالحةِ .

ومِنَ النتائجِ التي توصَّل لها البحثُ أنَّ الإمامَ عليه السلام عَمَدَ إلى ذِكرِ ما في نفسِهِ بتفاصيلَ كلاميةٍ دقيقةٍ، ورموزاً خطابيةً أوضحَتْ مواقفه النفسية ، فإنَّ الخطاب العلوي شاهدٌ على صدق علاقة الإمام عليه السلام مع خالقِه ، وفطنته في إدارة شؤون الأمة ، وقدرته على تشخيص المصلحة ، وكيفية التعامل مع القضايا المختلفة ، فالمشاعرُ مرتويةٌ برجاحةِ العقلِ ، والعواطفُ نابعةٌ من نورِ الإيمانِ .

والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ وأفضلُ الصلاةِ وأتمُّ التّسليمِ على محمدٍ وآلِهِ الطيبينَ الطاهرينَ .

التمهيد : إضاءة على العنوان

الإفصاح النفسي لغة :

ورد لفظ الإفصاح في المعاجم اللغوية بمعانٍ متعددة بحسب الاستعمال فقالو " أفصح الصبحُ، إذا بدا ضوؤهُ؛ و كلُّ شيء وضح لك فقد أفصح لكَ. (1) وأفصح يرادُ به بيان القول (2) ويقال أفصح الصبي في منطقه إفصاحاً إذا فهمت ما يقولُ في أولِ ما يتكلم و تقول أيضاً: فصح اللبن، إذا أُخذَتْ عنه الرغوة. (3) وأفصح كلامه إفصاحاً. و أفصح: تكلم بالفصاحة؛ و أفصح الأعتم إذا فهمت كلامه بعد غتمتِه. و أفصح عن الشيء إفصاحاً إذا بيَّنهُ و كَشفهُ (4). إذن الإفصاح ومن خلال ذكر المعاني المتعددة في اللغة يجمعها معنى الإبانة والكشف وفهم الكلام ووضوحه ، ويعني الكشف عن معاني المتكلم ومقاصده المختلفة.

الإفصاح النفسي إصطلاحاً :

الإفصاح النفسي ذكرُ المتكلمِ لموقفهِ النفسي بصراحةٍ ووضوحٍ ، فالمعنى بائنٌ ، والمقصد مكشوفٌ، لا يجدُ المتلقي صعوبةً في فهمه ، وإنْ اختزنَ معاني أخرى يمكن أضافتها للمعنى المركزي الظاهر . وهو بوحٌ وجداني ، وصرخة عاطفية ، يختارها منشئ الخطاب لتحمل الى العالم مراده ومقاصده، من غير لبس ولا تأويل . فيستطيع المتلقي أن يتعرَّف على ما يشعر به الإمام عليه السلام من معانٍ نفسية كالرضا والقبول والرفض والسعادة والحزن والاطمئنان وغيرها من المشاعر، بسهولة ويسرٍ عندما يقرأ كلام الامام عليه السلام أو يستمع له ، وهذه الطريقة الكلامية تعتمد البوح والتصريح فهي استراتيجية كلامية .

ويلجأ منشئ الكلام الى استعمال اللغة للتعبير عن مقاصده وحملها الى العالم ، ويُسَخِّر المخزون اللغوي واختيار الملائم منها لارادته ولذاته ، وهذا ما يسمى في اللسانياتِ النفسية بـ (الاستحضارُ المُعْجَمي) ويَعني استحضارَ المتكلمِ لكلمات بناءً على المعنى الذي يُرادُ إبلاغُهُ ، فعليهِ انتقاءُ الكلمةِ التي ستكونُ ملائمةً للرسالةِ المبتغاةِ ، ولا بدَّ أنْ تلائمَ البنيةَ ، إذ يحوّلُ المتكلمُ الكلماتِ المطلوبة عندَ التكلُّمِ الى الشكلِ الصواتي المطلوب [5] وهذا يؤكد أثر هذا الاستحضار بوصفه كاشف عن الذات ، معبراً عن الشخصية ، وهو صدى النفس الناطقة .

ونلتمس في عالم التلقي مفردات مختلفة ، تحمل رسالة عاطفية وتتجلى فيها مواقف شعورية تعبر بوضوح عن صاحبها ، وتقلل موارد الاحتمال والتأويل .

والإفصاح النفسي يتداخل لسانياً مع التعبيريات وهي تكونُ في ما يكونُ ذاتي الشعورِ و غير ذاتي ، ومن التعبيريات الأفعالُ الكلاميةُ (Expressive speech Acts) التي قوامُها إرادةُ المتكلمِ في التعبيرَ عن مشاعرِهِ (feelings) ومواقفِهِ (attitudes) ومكنوناتِهِ السايكولوجية تعبيراً مُخلصاً وصادِقاً . [6] وهذا ما نتحدث عنه في بحثنا بخصوص المعاني المعلن عنها في النص ، التي تحمل دلالة شعورية ذاتية واضحة .
ويندرج الإفصاح النفسي أيضا تحت ما يسمى بالبوحيات [7]وهي كلماتٌ تعبّرُ عن حالةٍ وجدانيةٍ معينةٍ ، وهي ألفاظٌ ذاتُ دلالةٍ نفسيةٍ مباشرةٍ ، تكونُ الدلالةُ النفسيةُ كامنةً في بنيتِها الصوتيةِ ، وهي تختزنُ في داخلِها طاقةً شعوريةً تحريضيةً [8].

وإن الكلام جزءٌ من استراتيجية ديناميةٍ نفسيةٍ تعتمدُ العاملِ السيكولوجي لإحداث عملية الاقناعِ والتأثير في سلوك الفردِ والمتلقي بوساطةِ إثارةِ الجوانب الانفعالية والنفسية (9) عن طريق الدفقة الشعورية التي تتمحور في الكلام ، وتنتشر في زوايا النص .

وهذا الإفصاحُ النَّفسي ذاتُ بعدِ أخلاقي تربوي استعمل في نهج البلاغة للتعبير عن موقف الامام النفسي من الحوادث والأشخاص والأشياء . وهو يتضمن كلماتٌ ذاتُ تقويمٍ أخلاقيٍ وتراكيب تعبّرُ من جهةِ المتكلمِ عن معنى (أحبُ ، لا أحبُ) وهي ضمنُ نطاقِ النظريةِ الانفعاليةِ (Theorie emotiviste) (10) .

إذن الإفصاح النفسي مفهوم يعني تعبير المتكلم عن مشاعره وأحاسيسه المختلفة بوضوح ، كاشفاً عن مواقفه النفسية ، مبيّناً عن عواطفه ، بطريقة كلامية يختار فيها مفرداته وتراكيبه لتكون سهلة الفهم على المتلقي ، واضحة المقاصد للمخاطب ، تعبر عن صاحبها ، و تنقل رسالة تحدث تأثيراً في الآخر وتغييراً .

وقد استُعمِلَ هذا الإفصاح في نهج البلاغة ليحمل رسالة معنوية مهمة ، ليسهم في تربية الانسان والإفادة من تجارب القادة الألهيين ومن مواقفهم في التعامل مع الحوادث والظواهر والشخصيات .

المبحث الأول بعنوان : (الإفصاحُ النَّفسيُ في أفعال المشاعر)

قد يجد المتلقي أحياناً صعوبةً في فهم مشاعر المتكلم ومعرفة ما تنطوي عليه نفسه ، لذا يحتاج الى مزيد تحليل وتأمل للمنطوق لأجل الوصول الى ما يوجد خلف أسوار النص ، وما يختبئ خلف الأصوات والكلمات والتراكيب، ولكنه يستطيع الوصول الى ذلك كله بنسبة كبيرة إذا كانت الكلمات في بنيتها تحمل هذه المعاني الشعورية ، وتعبر عن هذه المقاصد الوجدانية في أفعال وجدانية شعورية .

و يظهر الإفصاح النفسي جلياً في استعمال ألفاظ الوجدان أو المشاعر ؛ ويَطلقُ اللسانيونَ التداوليون على الصيغِ الشعوريةِ أو النفسية أو الوجدانية بـ (التعبيريات Expressives) وهي أفعالٌ كلاميةٌ يعبّرُ بها المتكلمُ عن مشاعرهِ في حالاتِ الرضا والغضبِ ، والسرورِ، والحزنِ [11] وغيرها من المشاعر والعواطف التي تختزنها الذات البشرية ، التي تترجمها الكلمات وتنقلها الى العالَم مغمسةً بالوجدان. وهذه الأفعال واضحة في مقاصدها النفسية ؛ لأنها معروفة المعاني النفسية ، لإن الكلمات مثل أحبُ، أكره ، سعيدٌ ، كئيب وغيرها ، محددة المعاني معجمياً ، واضحة الدلالة في الاستعمال ، فهي تفصح عن الموقف النفسي للمتكلم ويكون ظاهراً من خلالها .

والأفعالُ التعبيريةُ هي معيارٌ للانفعالاتِ النفسيةِ الشعوريةِ التي يستطيعُ الفردُ بفضلِها أنْ يعبّرَ عن كلِّ حالةٍ نفسيةٍ بلفظٍ معينٍ يدلُّ عليها ، وهي معيار للكشف عن هذه الحالات النفسية والمواقف (12). وهي من الصيغِ الوجدانيةِ التي وردتْ في كلامِ أميرِ المؤمنينِ عليه السلامُ في نهجِ البلاغةِ ،وقد جاءتْ معبرةً عن بوضوح عن مواقفِ الإمامِ النفسيةِ ، ومشاعرهِ ووجدانه ،وقد وردت هذه الصيغ الوجدانية في مواضع متعددة .

منها خطبة له عليه السلام يحث فيها على الجهاد أفصح فيها عن موقفه النفسي الرافض بقوله : " يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَ لَا رِجَالَ، حُلُومُ الْأَطْفَالِ وَ عُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَ لَمْ أَعْرِفْكُمْ ، مَعْرِفَةً وَ اللَّهِ جَرَّتْ نَدَماً وَ أَعْقَبَتْ سَدَماً، قَاتَلَكُمُ اللَّهُ لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحاً، وَ شَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظاً، وَ جَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاساً، وَ أَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَ الْخِذْلَانِ، حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْشٌ إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ وَ لَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ " [13]

نلحظ في هذا النص العلوي المبارك أفعالاً وجدانية تجلى فيها البوح والإفصاح والتصريح بذكر الموقف النفسي والمشاعر من خلال الإشارات الكلامية النفسية في النص ، التي نجدها بقوله : (لَوَدِدْتُ ، نَدَماً ، سَدَماً، قاتلكم الله مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحاً، وَ شَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظاً، وَ جَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاساً) وهذه التعبيرات لوَّنتْ النصَ بألوانِ المشاعر والعواطف، وتكثفت فيه المعاني الوجدانية ؛ فقد عبرَّ عليه السلام عن ندمه على الدخول في أمرهم و الحزن من تقصيرهم في الذّب عن الدين ؛ لأنّ المتولّى لأمر يغلب على ظنّه استقامته حتّى إذا دخل فيه و طلب انتظامه و وجده غير ممكن له لا بدّ و أن يندم على تضييع الوقت به، و يحزن على عدم إمكانه له. و هذه حاله عليه السّلام مع أصحابه. و لذلك حزنت الأنبياء عليه السّلام على تقصير امممهم حتّى عاتبهم الله تعالى على ذلك كقول الله مخاطباً الرسول الأكرم صلى الله

عليه و آله و سلّم في القرآن : وَ اصْبِرْ وَ ما صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لا تَكُ في ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (النحل : 127). (14) والسدَم: الحزن؛ سدم يسدم سدَماً (15) السين و الدال و الميم أصل في شيء لا يهتدى لوجهه (16) ثمّ دعا عليهم و اشتكى منهم قوله: قاتلكم الله. و قوله: لقد ملأتم قلبي قيحا إشارة. إلى بلوغ الغاية في التألّم الحاصل له من شدّة الاهتمام بأمرهم مع تقصيرهم و عدم طاعتهم لأوامره. فعبّر بالقيح عن ألم قلبه مجازا . و كذلك إطلاق لفظ الشحن على فعلهم المؤلم لقلبه مجازاً لأنّ الشحن حقيقة في نسبة بين جسمين (17) جَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاساً ، والتجريع في اللغة إدخالُ الماءِ أو نحوهِ في الحلقِ ، و نَغَبَ الإنسانُ يَنْغَبُ أي يبتلعُ ريقَهُ ، أو يبتلعُ الماءَ (18) ويقول ابنُ سيده : " تَهِمَ الرجلُ فهو تَهِمٌ: ظَهَر عَجزُه و تحَيَّرَ " (19) فالتَّهمامِ : شدَّةُ الحيرةِ . و أنفاساً؛ أي جرعةً بعدَ جرعةٍ ونفساً بعدَ نفسٍ (20) فقد أفصح عن مشاعره في الأفعال الوجدانية (لَوَدِدْتُ) الذي أعلن من خلالها رغبته النفسية الشعورية في العزوف عنهم ، (نَدَماً) الذي يفصح فيها عن ندمه بصحبتهم ، (سَدَماً) الذي أوضح فيه الحزن الذي لاقه معهم ، ثم يدعو عليهم دلالة على عدم رضاه بقوله: (قاتلكم الله) ، ثم يستمر في هذا العرض الوجداني بقوله : (مَلَأتُمْ قَلْبِي قَيْحاً، وَ شَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظاً، وَ جَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاساً) دلالة على قلبِ تقرح من أفعالهم ، وصدر اغتاض من تمردهم ، وشدة حيرة بسبب رفقتهم .

وقد خاطبَ بها الإمامُ القومَ ، و فيها توبيخٌ لهم على تقصيرهِم البالغِ في حقِّهِ حتى اعتقد بهم هذا الاعتقادُ . [21] لذا نلحظ هذا الإفصاح عن النفس في مواقف مهمة حرجة ، يتحذَّر منها القادة ، ويخشاها الأمراء ، لأنَّهم يخشون الأتباع ،ويحذرون من المعارضين ، لكنَّ الإمام عليه السلام كان صريحاً واضحاً ، كاشفاً على موقفه النفسي منهم ، دلالة على ارتباطه بالله وصدقه وتقواه ، إشارة الى نفس مطمئنة قوية ، وهو يعلن عن خفايا نفسه اتجاه اتباعه الذين لم يلزموا وصاياه ، ولم يطيعوا أمره ، وهذه الاستراتيجية الكلامية ظاهرة بانت في الخطاب العلوي واتضحت مغمسة بشكوى وألم وحزن وحيرة .

إذ استعملَ الإمامُ عليه السلامُ في النص المتقدم عاطفةً معنويةً تتجلى بالدعوة للمثل العليا ، وتربية الأفراد ، فإنَّ من أنواع العواطف عاطفةِ الميلِ للمثلِ العليا الأخلاقيةِ ، أو عاطفةِ التقوى ، (22) . فهو طريقة كلامية ، واستعمال لغوي غرضه تربية المجتمع ، وإرشاد الناس الى المثل الأخلاقية ، والقيم الدينية .

كما أن للخطاب النفسي أثر في الحروب والنزاعات وعند اختلاف الآراء ، وكثرة المعارضين ، وعند الأزمات والمشاكل التي يعاني منها المجتمع ، وهناك أهمية العامل النفسي في الحروب والجهاد ، وضرورة توخي الموضوعية والمصداقية ، فلا غش للاتباع ولا مداهنة للخصوم ولا خداع للمناصرين ، لذا فقد كان الإمام واضحاً وصريحاً، وصادقاً مع الله ومع نفسه في التعبير ، فإن دعوته لله ، وتوجيهه للهداية فهو خليفة الله في أرضه .

يتوخى الإمامُ عليه السلام من ذكرِ هذه الافعالِ حملَ المخاطبِ على الإذعانِ والاقتناعِ بفكرةٍ ، أو بموقفٍ ما من خلالِ إثارةِ عواطفهِ وانفعالاتِهِ وهو ما يعرفُ بالفعلِ التأثيري للخطابِ (Act Perlocution) (23).

وفي النص ايحاء وإشارة الى الظرف الذي أحاط بالامام عليه السلام ، والى طبيعة من ادعى اتّباعا له ، والى المرحلة التي وصل إليها الإمام عليه السلام مع القوم حتى يبوح بوحاً يعتصر الأفئدة ، ويفصح إفصاحاً يجرح القلوب .

كما أراد الإمام أن يشخص الواقع كما هو للاتباع والاسلام والتاريخ ، ويذكر حاله مع هؤلاء ، ويشير الى ضعف الاتباع في حينه ، وكثرة المعاندين والمشاكسين وغير المتلزمين ، فهو ينطلق من أساس يماني متين ، ومسؤولية دينية تحتّم التوجيه والتربية على طاعة القادة الإلهيين ومؤزرتهم ونصرتهم .

المبحثُ الثاني: (الإفصاحُ النَّفسي في صيغِ الرضا والإبعاد)

من الصيغ الكلامية التي تظهر فيها المواقف النفسية ، وتتجلى فيها مشاعر المتكلم وعواطفه في انتاج الكلام وفي توظيفه ليكون معبراً عن ذاته هي تلك الصيغ التي تشير الى رضا المتكلم عن شخص أو مجموعة أو حادثة أو فكرة ، أو رفض المتكلم وإبعاده لها باستعمال اللغة .

ومن صيغ الرضا هي صيغ متعددة منها : (المدح والثناء والقبول والأحترام ، والدعاء للآخر) أما صيغ الإبعاد فهي صيغ متعددة منها : (الذم ، والتحقير ، والاستهزاء والدعاء على الآخر) وغيرها ، ولكل من النوعين صيغ تكون دلالتها النفسية واضحة تشير الى موقف المتكلم النفسي ، وتعبر عن وجدانه . ويمكن أن تكون هذه الصيغ مفردة أو تركيب .

وقد أفصح الإمامُ عليه السلامُ في نهجِ البلاغةِ على ما يدل على هذه المواقف الوجدانية المختلفة ، في إشارة كلامية واضحة وجليَّة، حول الآخر سواء أكان فرداً أم جماعة أم فكرة ، إذ عبرت الكلمات والتراكيب عن المواقف النفسية المختلفة للإمام في حالة الرضا القلبي الوجداني ، أم في حالة الكره والرفض والإبعاد ، ولكل موقف نفسي طريقة كلامية ، تنتجها اللغة على مستويات اللغة المختلفة صوت ومفردات وتراكيب .

و من صيغ الرضا التي وردت في نهج البلاغة كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة بعد فتح البصرة بقوله : " وَ جَزَاكُمُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ، وَ الشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَ أَطَعْتُمْ وَ دُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ "[24] وهذا كتاب كتبه عليه السلام إلى أهل الكوفة و قد اختصره الرضي رحمه الله "[25]

إذ نجد في هذا النص صيغاً ظاهرة في رضا الإمام عليه السلام عن المخاطبين ، وقد حققت صيغة الدعاء هذا الإفصاح والإعلان عن موقف نفسي لا يقبل التأويل، وصيغة كلامية جلية في الظهور بقوله : (جَزَاكُمُ اللَّهُ... عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ) ، فهي دعوة ترمز للرضا النفسي عن المدعو له ، فالدعاء في هذا النص أشار الى لحظة شعورية تمثلت بطمأنية الإمام عليه السلام ومحبته لفعل المدعو له، وهو يقول جزاكم الله ، فهو يدعو الله أن يجازي هؤلاء بالخير كما يجازي الشاكرين المطيعين ، وهي إشارة قبول

إلى أن يقول : (أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ) ، دلالة على رضاه عن طاعتهم ، وهو يدعو لهم بجزاء الإحسان ، أو أحسن الجزاء الذي استوجب ووجب لطاعتهم ونصرتم إمامهم .

ثم يذكر (وَ الشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ) ، والمعنى بدلالة العطف، وأحسن ما يجزي الشاكرين ، في إشارة الى التزام هؤلاء لأهل البيت عليهم السلام وعدم الانقلاب عليهم ، كما في قوله تعالى : (وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (آل عمران: 144) والفائز من التزم أمرهم ونصرهم ، وعلل سبب هذا الرضا عنهم بقوله عليه السلام : (فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَ أَطَعْتُمْ وَ دُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ) لذلك استعمل هذه التعبيرات أو الصيغ دالاً شعورياً على القبول ، وأفصحت عن حالة الإمام النفسية، وموقفه الشعوري ؛ لأنَّ للتلفظاتِ علاقاتٍ بالحالةِ النفسيةِ للمتكلمِ الذي يمتلكُ القصديةَ فيتحولُ الخطابُ الى نموذجٍ نفسيٍ لسانيٍ يرتبطُ بالعالَمِ . [26] ويعبّر عن خلجاته النفسية التي ظهرت واضحة في النص في سياقٍ كلامي تظافرت اللغة على انتاجه مرتوٍ بالعواطف ، فالمفردات هادئة والتراكيب كويلة متناسقة تتناسب استهلال النص بالدعاء الذي فيه تطمئن النفس ، وبه تستقر الأرواح .

وما يؤيد موقف الرضا النفسي للإمام عليه السلام عن أهل الكوفة ،الذي أفصحت عنه الصيغ الكلامية ، ما ورد في مدحه عليه السلام لهم في مواطن معينة ، فلما وردوا عليه بذي قار عند توجهه إلى البصرة، كما جاء في (الإرشاد): روى عبد الحميد بن عمران العجلي عن سلمة بن كهيل قال: لما التقى أهل الكوفة عليّا عليه السلام بذي قار رحَّبوا به ثم قالوا: الحمد لله الذي خصّنا بجوارك و أكرمنا بنصرتك. فقام عليه السلام فيهم خطيباً فحمد الله و أثنى عليه و قال: يا أهل الكوفة إنّكم من أكرم المسلمين و أقصدهم تقويماً و أعدلهم سنّة و أفضلهم سهماً في الإسلام و أجودهم في العرب مركبا و نصاباً، أنتم أشدّ العرب ودّاً للنبيّ و أهل بيته، و إنّما جئتكم ثقة بعد الله بكم للذي بذلتم من أنفسكم عند نقض طلحة و الزبير و خلعهما طاعتي " (27)

أما صيغ الإبعاد والرفض فقد وردت في نهج البلاغة ومنها كلام لهُ عليه السلامُ في في الخوارج لما أنكروا تحكيم الرجال و يذم فيه أصحابه [28] قال : " مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بِهَا ، وَ لَا زَوَافِرَ عِزٍّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا ، لَبِئْسَ حُشَاشُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ [29]، أُفٍّ لَكُمْ ، لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرْحاً ، يَوْماً أُنَادِيكُمْ ، وَ يَوْماً أُنَاجِيكُمْ . " [30] فقد وردت في النص صيغٌ كلامية أشارت الى موقف نفسي رافض ، ومشاعر ظاهرة يعتصرها الألم والهم والحزن بقوله: " مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بِهَا ، وَ لَا زَوَافِرَ عِزٍّ ، ، لَبِئْسَ ... أَنْتُمْ ، أُفٍّ لَكُمْ ، لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرْحاً) ، مخاطبهم صراحة بأنهم لا يؤتمنون وليسوا بثقة ، وليسوا بأنصار على الحق ، وقوله: ما أنتم لي بثقة سجيس الليالي، كلمة تقال للأبد، تقول لا أفعله سجيس الليالي، أي معنى ذلك الدهر كله ، وقوله ما أنتم بركن يمال بكم، أي لستم بركن يستند إليكم، ويمال على العدو بعزكم و قوتكم، قوله: و لا زوافر عز جمع زافرة و زافرة الرجل أنصاره و عشيرته (31) فقد عبرت الصيغ عن معنى نفسي ظاهرٍ وهو عدم الرضا عنهم ، ورفض أفعالهم ، والتأسف عليهم ، فقد ذمهم باستعمال صيغة الذم بئس بقوله : (لَبِئْسَ حُشَاشُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ) و حشاش النار ما تحش به أي توقد (32) ثم يأتي بصيغة شكلت صرخة عاطفية قوية في وجوههم ، واعلان واضح عن الغضب عليهم بقوله (أُفٍّ لَكُمْ) فهو طرد نفسيٌ وإبعاد ، وسخطٍ وغضب وألم، وهي علامة على تأثر الإمام عليه السلام لذلك يقولُ الدكتور تمام حسَّان بأنَّ هذه الصِّيَغَ يَحسُنُ أنْ نضعَ بعدَها في الكتابةِ علامةَ تأثُّرٍ (!) (33) ثم يستمر السياق النفسي في عدم الرضا بقوله: (لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرْحاً) برحاً أي شدة، يقال لقيت منهم برحا بارحا أي شدة و أذى (34) وهو إعراض وجداني واضح ، وإفصاح نفسي ظاهر ، تناثر من بين زوايا النص، وأرجاء الخطاب .

النـتـائـج :

توصل البحث الى جملة من النتائج منها :

- إنَّ الإمـامَ عليـه السـلام عَمَـدَ إلـى ذِكـرِ مـا فـي نفسِـهِ بتفاصـيلَ كلاميـةٍ دقيقـةٍ، ورمـوزاً خطابيـة أوضـحَتْ مواقفـه النفسـية ، فـإنَّ الخطـاب العلـوي شـاهدٌ علـى صـدق علاقـة الإمـام عليـه السـلام مـع خالقِـه ، وفطنتـه فـي إدارة شـؤون الأمـة ، وقدرتـه علـى تشـخيص المصـلحة ، وكيفيـة التعامـل مـع القضـايا المختلفـة ، فالمشـاعرُ مرتويـةٌ برجاحِـةِ العقلِ ، والعواطفُ نابعةٌ من نورِ الإيمانِ .
- إنَّ الإفصـاح النفسـي فـي الخطـاب العلـوي شـكل ظـاهرة نفسـية لا نجانـب الحقيقـة عنـدما نقـول أنهـا ظـاهرة كلاميـة لا نجـدها عنـد غيـره مـن الأئمـة الأطهـار علـيهم السلام ، وعند من تصدى لقيادة الأمة الإسلامية بعد رسول الله صلى الله عليه .
- تضـمن الخطـاب العلـوي صـيغاً وتعبيـراتٍ وأسـاليبَ صـريحة لا تقبـل التأويـل فـي مواضـع أراد الإمـام منهـا أن تكـون واضـحة مفهومـة للأمـة ، لتـؤدي أثرهـا الـديني والتربوي والتبليغي في الأمة الاسلامية .

الهوامش :

---

[1] جمهرة اللغة ؛ ابن دريد ج1 ؛ ص542
[2] تهذيب اللغة ؛ الأزهري ج4 ؛ ص148
[3] الصحاح ؛ ج1 ؛ ص391
[4] لسان العرب ؛ ابن منظور : ج2 ؛ ص544
[5] ظ: اسس اللسانيات النفسية ، ايفام فيرناديز وهيلين سميث : 205
[66] الأفعال الكلامية التعبيرية النفسية ، دلخوش جار الله : 48
[7] ظ: نظرية الأفعال الكلامية ، محمد مدور :52
[8] ظ: الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم ، محمد جعفر العارضي : 7
[9] ظ: أساليب الاقناع ،أحمد مزواغي : 50
[10] ظ: الحجاج في القرآن ، عبد الله صولة : 150
[11] ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، محمود احمد نحلة : 108
[12] الافعال الكلامية التعبيرية النفسية ، دلخوش جار الله حسين ، و آخر : 49 .
[13] شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد)، ج 2 ، صفحة 75
[14] ظ: شرح نهج البلاغة(ابن ميثم)، ج 2 ، صفحة 38
[15] جمهرة اللغة ؛ ج2 ؛ ص648
[16] معجم مقاييس اللغه ؛ ج3 ؛ ص149
[17] ظ: شرح نهج البلاغة(ابن ميثم)، ج 2 ، صفحة 38
[18] ظ: كتاب العين : 4 / 425 ،نغب
[19] المحكم و المحيط الأعظم ، ابن سيدة : 4 /284 مادة تهم .
[20] شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 2 / 80
[21] ظ: شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : 2 / 81
[22] ظ: الدوافع النفسية ، مصطفى فهمي : 103
[23] ظ: التداولية أصولها واتجاهاتها ، جواد ختام : 144
[24] شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد، 14 / 26
[25] بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، ج 13 : صفحة 619
[26] ظ: التداوليات علم استعمال اللغة ، اسماعيلي علوي : 492
[27] بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ج 13 ، صفحة 620
[28] وقيل إنها قيلت في التحكيم واستنفار الناس إلى أهل الشام ظ: شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد: 2 / 189
[29] وجاءت بصيغة أخرى لَبِئْسَ لَعَمْرُ اللَّهِ سُعْرُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُم ظ: شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد: 2 / 189

[30]شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : 8 / 104
[31] ظ: شرحنهج‌البلاغة (ابن‌أبي‌الحديد)، ج 2 ، صفحة 1190
[32] شرحنهج‌البلاغة (ابن‌أبي‌الحديد)، ج 8 ، صفحة 108
[33]ظ: اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان : 116
[34] ظ: شرحنهج‌البلاغة(ابن‌أبي‌الحديد)، ج 8 ، صفحة 108

المصادر والمراجع :

- **القرآن الكريم :**

- أساليب الإقناع في سورة يوسف دراسة لسانية تداولية ،أحمد مزواغي ، جامعة وهران –كلية الاداب واللغات والفنون ، الجمهورية الجزائرية ، 2012م . رسالة
- أسس اللسانيات النفسية ،ايفام فيرنانديز ، هيلين سميث كيرنز ، ترجمة عقيل الشمري ،جداول للنشر والترجمة، بيروت لبنان ، ط1، حزيران يونيو 2018م .
- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، محمود احمد نحلة ، مكتبة الآداب –القاهرة ، ط1 ،1432ه-2011م .
- الأفعال الكلامية التعبيرية النفسية في القصص القرآني ، دلخوش جار الله حسين ، و سوزان رضا عزيز ، مجلة الاداب العدد 116--1437هـ -2016م

- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، محمد تقي التستري ، مطبعة دار أمير كبير للنشر ، طهران، ط1 ، 1418هـ .
- التداوليات علم استعمال اللغة ، تنسيق وتقديم حافظ اسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، اربد –الاردن ،ط2، 2014م
- التداولية أصولها واتجاهاتها ، جواد ختام ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، عمان – الاردن ، ط1 ، 1437هـ-2016م .
- تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد الازهري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط1، ، 1421 هـ .
- جمهرة اللغة ، محمد بن حسن ابن دريد ، دار العلم للملايين ، بيروت- لبنان ، ط1، 1988 م
- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الاسلوبية ، عبد الله صولة ، دار الفارابي – بيروت- لبنان ، ط2 ، 2007م .
- الدلالة النفسية للألفاظ في القران الكريم ، محمد جعفر محيسن العارضي ، العراق - جامعة القادسية – كلية الآداب- 1423ه- 2002م ، اطروحة .
- الدوافع النفسية ، مصطفى فهمي ، لجنة النشر للجامعيين ، دار مصر للطباعة ، ط3، ديسمبر 1955م .
- شرح نهج البلاغة ، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني ، عني عدة من الافاضل ، الناشر دفتر نشر الكتاب ، ط2، 1404هـ .
- شرح نهج البلاغة ، عز الدين ابو حامد ابن ابي الحديد ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، الناشر مكتبة آية الله المرعشي النجفي العامة ، قم، ط1 ، 1378 .

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين . بيروت ، ط1، 1376 هـ .
- العين ، عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي ، دار الهجرة للنشر ، قم ، ط 2 ، 1409 هـ
- لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري ، ، دار صادر ، بيروت ط3، ، 1414 ه.
- اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ، دار الثقافة ، دار البيضاء – المغرب ، 1994م
- المحكم و المحيط الأعظم ، ابي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي المعروف بـ ابن سيدة ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1421 هـ .
- معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، مكتب الإعلام الإسلامي - قم ، ط1 ، 1404 هـ.
- نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي والمناهج الحديثة دراسة تداولية ، محمد مدور ، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، العدد 16 2012م .